# الإكليل

مجلة دورية تعنى بتاريخ اليمن الفكري والحضاري - تصدرها وزارة الإعلام والثقافة - صنعاء

السنة الثالثة - العدد الأول - خريف ١٤٠٦هـ - ١٩٨٥م

# العثمانيون في اليمن

بقلم: زيد بن علي عنان

نشر المهندس أحمد وصفي زكريا سلسلة من المقالات في مجلة التمدن الاسلامي التي كانت تصدر في دمشق ١٣٥٧ هـ / ١٩٣٧ م ، وقد خصص هذه السلسلة من المقالات في تاريخ اليمن وركز على دور الاتراك في اليمن وكان المذكور قد وصل إلى صنعاء كمهندس زراعي في ١٣٥٤ هـ وغرس في أملاك الامام يحيى عدة أشجار مثمرة وغير مثمرة . ولهذا فقد رأيت نشر مقالاته لما لها من الأهمية التاريخية ولاطلاعه على كثير من المؤلفات التركية . وهذا نص أبحاثه مع التعليق عليها بين قوسين .

لما فتح السلطان سليم مصر في ٩٢٣ هـ واستولى على الخلافة وصار يخطب له في الحجاز أيضاً رأى أنّ لا بد من أخذ اليمن . فما زال اليمن دعامة الحجاز . وبلغ نوابه في مصر وجدة ضعف حال اليمن في تلك الحقبة وخلوه ممن يحسن الذود عنه ، فبعثوا من قبلهم أمراء وجنوداً جاؤوا في ٩٢٧ هـ وقتلوا الامير الاسكندر الشركسي « وصل هذا مع حملة حسين الكردي الذي قضى على دولة عامر عبد الوهاب بسبب ظهور السلاح الناري وهي المدافع والبنادق العربية التي ما تزال موجودة لدينا حتى الآن وكان الامام شرف الدين الذي أعلن دعوته بحجة قد شجع حسين الكردي ضد عامر عبد الوهاب وكان قوياً ، وله أسطول بحري كبير حتى أن الهند استنجدته ضد البرتغال فأرسل بعض السفن وعليها ( ٤٠٠ ) جندي إلا أنه قضي على هذه القوة بسبب اختلاف السلاح بين القوتين وهو السلاح الناري » . قال واستولى على التهائم واليمن الأسفل فقط . « وصلت الحملة الكردية الى صنعاء وقتلوا عامر عبد الوهاب في باب اليمن واستمروا في اليمن الى ان قضى السلطان سليم على السلطان الغوري في مصر ولما علم الاكراد بذلك اعلنوا انضمامهم الى السلطان سليم المذكور » . إم اليمن الأعلى

في الجبال فقد ظل بيد الامام يحيى شرف الدين ، لكن اولئك الامراء ظلوا عدة سنين يتنازعون فيما بينهم على الولاية ولم يحسن احدهم الادارة السياسية ، فرأى الامام شرف الدين الذي أشرنا إليه بمقدرته وبسالته الفرصة سانحة فشرع في ٩٣٤ هـ هو وابنه المطهر يناجز العثمانيين ويدفعهم حتى اخذ التهايم ووصل فيها الى لحج وأبين وجيزان وأبي عريش ولم يبق في يد العثمانيين سوى زبيد التي تحصنوا وراء أسوارها ، ولما رأت الدولة هذه الحالة بدأت منذ ٩٤٥ هـ تهتم باليمن وصارت ترسل من العاصمة قواداً وجنوداً اكثر عدداً وكفاءة من الأولين وجعل هؤلاء استرداد اليمن واكمال فتحه نصب أعينهم وما زالوا يراوحون الامام شرف الدين القتال ويغادونه حتى تسنى لاحدهم أزدمر باشا « بنى هنا مسجد ازدمر وزاد فيه الامام المنصور على هيئته الحالية وبقي اسم المسجد والحارة باسم ازدمر باشا حتى الان » ان يستولي بعد معارك شديدة على صنعاء ٩٥٤ هـ ثم سار الى الشمال واستولى على صعدة في ٩٦٠ هـ فدان له بذلك كل اليمن وعدوه فاتح اليمن الاول وعقد صلحاً مع الامام المطهر الذي خلف والده « بل خرج عليه وحاربه واستولى على اليمن . وكان مشهوراً بسفك الدماء وقطع ألف رأس صبراً كما قطع أيدي وأرجل سبعين رهينة من رهاين خولان كانوا في سجن القلعة بسبب اطلاق رصاصة الى باب اليمن من قبل شخص من خولان وفر فالزم خولان بوصول المذكور فلم يصلوه فتقدم عليهم وخرب بيوتهم وقطع أشجار اللوز وأسر ( ٣٥٠ ) منهم وقيل انه قطع أيديهم وأرجلهم بعد الرهاين كما جاء ذلك في تاريخ « روح الروح » للطف الله جحاف المطهر . وقد صورته وزارة الاعلام ونشرته ضمن مشروع المئة كتاب (١) » . ظل هو قابعاً بموجب الصلح المذكور في معتصمه في حصن ثلا . ثم جاء بعده ولاة ضعفاء كان احدهم واسمه رضوان باشا مأفوناً فنقض الصلح المعقود مع الامام المطهر واعتدى عليه لكنه لقي جزاء بغيه وانكسر في المعارك التي اثارها وكان سبباً لانتقال اكثر بلاد اليمن إذ ذاك إلى الامام المطهر ولم يبق للعثمانيين سوى زبيد . على أن هؤلاء لما رأوا ما حل بهم عادوا فأرسلوا في ٩٧٦ هـ قائداً مغواراً اسمه سنان باشا « عمّر سنان هذا منارة الجامع الكبير الشرقية وعمّر القبة التي وسط الصوح الموجودة الآن بعد أن صل صوح الجامع الذي بقي الى بعد قيام الثورة . ثم أعيد صله على نفقه اهل الخير وقد جعل القبة المذكورة خزانة للسليط وحفظ دراهم الوقف ووضع المسودة السنانية لاموال الوقف وما تزال محفوظة ، كما عمّر منارة مسجد « صلاح الدين » وله تحصينات في الجبال والطرقات واحدث البركة الموجودة الآن في مَتْنَة . وكانت مَتْنَة تسمى متنة سنان باشا . وكان حازماً له قصص مشهورة في سياسته واستمر في اليمن مدة كبيرة وسافر بعد ان وصل خلفه ولكنه مات في المخاء اثناء عودته » . الكبير واستطاع بعد حروب هائلة ان يسترد اكثر بلاد اليمن من يد الامام المطهر فعدوه فاتح اليمن الثاني ، ومن مشاهير الولاة الذي خلفوا سنان باشا يذكرون مراد باشا الملقب بحفار الآبار وجد في ٩٨٣ هـ كما بنى جامع المرادية وغيره في تعز « كان جامع المرادية الموجود الآن في قصر السلاح مستودعاً للذخيرة وغيرها لكنه

(١) ثم قبضوا عليه فسمر يديه في باب اليمن حتى مات .

اعيد بعد قيام الجمهورية بعد ترميمه الى محل للعبادة حيث تقام فيه الآن صلاة الجماعة وصلاة الجمعة » . وهو الذي جلب الى صنعاء ماءً من سفح جبل نُقُم . وهو الجبل المطل على صنعاء من الجهة الشرقية وسمي هذا الماء غيل الباشا . « المشهور اسمه لدينا غزل الباش وقد جف الآن وساق له ساقية قضاض الى القصر وقد اندثرت » . ويذكرون حسن باشا الأرناؤط في ٩٨٨ هـ استولى على صعدة واجلى ابناء المطهر الى استنبول وبنى جامع البكيرية . « جاء تاريخها [ تراهم ركعاً سجداً ] ( ١٠٠٥ ) كما عمل المنبر والزخارف السلطان عبد الحميد » . وهو أحسن بناء في صنعاء وعمّر حمام الميدان الحالي وأوقفه على البكيرية وبكل مساجد وخانات كثيرة . ويذكرون سنان الكخدار في ١٠١٣ هـ . له خيرات كثيرة كتبليط عقبة شهارة وبناء المساجد والقبب والبرك . ويذكرون الحاج محمد باشا في ١٠٢٥ هـ ، الذي حفر بئر الباشة الحالية أعذب بئر في صنعاء وبناء سور يريم ، ورمم سور صنعاء وزبيد وله خيرات اخرى . « سميت حارة الباشه باسمه وكذلك مسجد الحيمي الى الآن وكانت تسمى صوح النعيم كما سمعت ذلك وكانت البئر المذكورة بئر مترعة ثم توسعت وقد نضبت الآن » . قال ثم خلف هؤلاء ولاة مأفونون أساؤوا التدبير وعكفوا على الجور وابتزاز الأموال وعاصمة السلطنة البعيدة في غفلة عن مراقبتهم ومحاسبتهم لان الانحطاط كان قد دب فيها منذ اوائل ذلك القرن ، وانصرف السلاطين الى الخمول واللهو فاهتبل الائمة هذه الغرر وصاروا يناجزون ولاة الدولة كلما آنسوا منهم ضعفاً إلى أن تمكن أحدهم وهو الامام المؤيد محمد بن القاسم في ١٠٤١ هـ من اخراجهم من اليمن كله داخله وساحله ، فانتهى بذلك دور العثمانيين الاول الذي دام ( ١٤١ ) سنة أبقوا خلاله بعض المباني والمآثر الخيرية التي ذكرناها وهي لا تعادل ما فعله فريق منهم من العسف والابتزاز شأنهم في اكثر الازمنة والامكنة ويذكر انهم كانوا في ذلك الدور يقيمون في اليمن كله جيشاً لا يزيد عن عشرين ألفاً ، ثلاثة أرباعه من أبناء الترك وربعه من أبناء اليمن ( يسمون الجندرمة ) وان ولاية اليمن كانت إذ ذاك تجيء نحو نصف مليون دينار ذهبي وانها بعد ان تنفق من هذا المبلغ على الموظفين والجيوش والحروب تبعث ( ١٥٠,٠٠٠ ) دينار الى عاصمة السلطنة ( تاريخ احمد باشا ص - ٢٥٧ / طبع الاستانة عام ١٢٩١ هـ تاريخ اليمن وصنعاء للمذكور ) .

## دور استقلال اليمن
## من ١٠٤١ هـ إلى ١٢٨٩ هـ

بعد أن زال حكم الاتراك ارتاح الائمة واستقلوا في الجبال والتهايم كلها استقلالاً تاماً وظلوا سائدين نحو قرنين ونصف لا ينازعهم خلالها أي منازع غريب سوى من كان يظهر في التهايم من أشراف أهلها ، فقد كان هؤلاء لا يرضون بضياع سيادتهم من أيديهم ، فظلوا يناجزون الائمة ويدافعونهم عن التهايم حتى تم لهم ما أرادوا في منتصف هذا الدور وأواخره ، وقد كان يُنتظر من الائمة المذكورين بعد أن استقلوا وسادوا وهدأ بالهم أن ينصرفوا إلى تنظيم شؤون اليمن وإعادة عمرانه بعد أن انهكته الحروب والكوارث الماضية وان يعنوا بالمشاريع والاعمال الخيرية المفروض صدورها من أمثالهم ذوي الفضل والعلم العزيزين والصيدرة البالغة

حد التقديس ولا سيما أموال الضرائب والصدقات التي كانت تجيء إليهم كلها دون هوادة وتكنز في خزائن صنعاء . لكن شيئاً من ذلك لم يحصل بل اكتفى المذكورون بإدارة بلادهم ومعاملة رعيتهم على مناهج بالية وأشد ما كان يهمهم هو مدافعة وثبات الطامعين بنوال الامامة من أقاربهم أو إخماد ثورات القبائل التي كانت ولا سيما في أواخر هذا الدور حيث كانت تكثر بحكم سوء الادارة والمجاعات . على أن العثمانيين لم ينسوا اليمن طوال ذلك الدور بل ظلوا يتحينون الفرص لاسترداده باعتباره دعامة الجزيرة العربية وسور الحجاز المتين وان بدون الحجاز ، ووراءه اليمن لا تستقيم الخلافة الاسلامية . لكن اضطراب شؤونهم الداخلية وانشغالهم باطفاء الفتن والثورات في ولاياتهم المترامية الاطراف فضلاً عن حروبهم المتوالية مع الروس والنمساويين وغيرهم كان يحول دون تحقيق أمنيتهم هذه إلى أن جاء محمد علي باشا رأس الاسرة الخديوية في مصر بعد أن استتب له الامر ولحظ حالة اليمن ومكانته المذكورتين فحملته مطامعه البعيدة على انتهاز الفرصة . فأرسل أحد قواده واسمه أمين بك واستخلص اللحية والحديدة من أيدي أشراف التهايم ١٢٢٥ هـ . وعزز بآخر اسمه ابراهيم باشا اليكن فأتم هذا فتح التهايم وانحاء تعز من اليمن الأسفل . ولكن عقيب مؤتمر لندن ١٢٥٦ هـ / ١٨٤٠ م واضطرار محمد علي باشا إلى اخلاء بلاد الشام والحجاز التي كان استولى عليها ورجعت الجنود المصرية من اليمن فلم يكن في وسع الدولة العثمانية أن ترسل جيشاً إلى اليمن فاكتفت بتسليم التهايم مؤقتاً إلى حسين بن احمد بن علي أحد شرفاء بلدة أبو عريش . وعقدت معه اتفاقاً ، فظل محتفظاً بها مسلم إليه يدافع امام صنعاء المتوكل الذي قصده وحاربه ليستولي على ما بيده . وفي سنة ١٢٦٥ هـ أرسلت الدولة توفيق باشا القبرصي مع جيش نزل في الحديدة ثم تقدم إلى صنعاء باستدعا الامام محمد بن يحيى (١) وقد كان هذا الامام ضَعُفَ وقَصُر عن إخماد ثورة القبائل ضده . فاستنجد المعونة بالدولة لكن أهل صنعاء وثبوا على جند توفيق باشا المذكور على حين غرة وقتلوا عدداً منهم وارجعوا الباقي مثخنين بالجراح إلى الحديدة وكانوا أسقطوا الامام المذكور ، لانه استنجد بالدولة وأهانوه ثم قتلوه(٢) ونصبوا بعده علي بن المهدي ، ثم جاء بعده من العثمانيين متصرفون عديدون إلى الحديدة وحدها وكانوا لا يتجاوزونها إلا قليلاً ، وكثيراً ما كان أمراء عسير من آل عايض الذين نبغوا في تلك الحقبة يهاجمون أولئك المتصرفين ويزعجونهم ، ولما استفحلت شرور الامير محمد بن عايض في عسير وتهامة وهاجم الحديدة في ١٢٨٧ هـ ساقت الدولة عليه جيشاً بقيادة المشير رديف باشا ففتح عسير وقتل ابن عايض وقضى على إمارته . وكانت صنعاء اذ ذاك تموج بالفتن من عجز الائمة وعصيان القبائل وانقطاع السبل . فاستنجد الائمة والسادة بالدولة بواسطة شريف

---

( ١ ) جد بيت عبد القادر بن غالب .

( ٢ ) الحقيقة انه قتله الامام المنصور بن المهدي الملقب على مقلا بضغد من اهل صنعاء اللذين نصبوه اماماً والدليل على ذلك ان غالب كان محبوساً في القلعة بجانب مكان والده حيث قال ابوه عندما وصل السياف لضرب عنقه قال لا يسمع غالب ولهذا عندما تولى غالب الامامة لم يؤاخذ المنصور علي في قتل والده لانه مدفوع من اهل صنعاء والقبائل المحيطة بها .

مكـة ، وكـان هذا ثاني استنجاد . فأمرت الدولة الغـازي احمد مختار باشا الذي خلف رديف باشا في قيادة جيش عسير على أن يذهب إلى صنعاء ويقـر الأمن ويملكهـا باسم الـدولـة ويبسـط سلطـانهـا على اليمن كله فجاءها في ١٢٨٩ هـ واطفأ فتن قبـائلهـا بعـد معـارك عديدة أجلّها ما قاساه في حصار حصن كوكبان . واخضع اليمن جبالـه وتهامتـه ما عدا أنحـاء صعـدة الشـمالية ومأرب الشـرقيـة . وأسس ولاية اليمن من ذلك الحين وقضى على نفوذ الأئمة الذين كانوا يظنون بأن الـدولة بعد أن تنجدهم تعود أدراجها وتترك لهم البـلاد وهكـذا . فآوى هؤلاء بعد حين إلى زوايـاهم في صنعـاء أو إلى معـاقلهم في القسم الشمالي من الجبـال في صعدة وشهارة وقفْلة عذر وقنعـوا بالسلطـة الـروحيـة واحتجـان أموال الصـدقيات من أتبـاعهم فقـط ولبثـوا يتحينـون الفرص للانقضاض واسترداد ما فاتهم من الملك الذي أعطوه فلم يحسنوا سياسته .

## الـدولـة العثـمانيـة في دورهـا الثـاني في ١٢٨٩ الى ١٣٣٧ هـ

بعـد فتـح الغـازي أحـمد مختـار باشا بلاد اليمن وأسس ولايتهـا كما قدمنـاه بدأت الـدولـة تهتم في شؤون هذه الـولايـة ما ساعـدتها أحوالها المضطربـة إذ ذاك وبعـد المشقـة وكـان ذلـك في أواخـر السلطـان عبـد العـزيـز المشهـور بهوجـه وتبـذيـره ، ولكن الـدولة ما لبثت أن رجعت إلى عادتهـا في الإهمال بحكم ازديـاد الاضطـراب في عاصمـة السلطنـة وخـروج أمم البلقـان إذ ذاك عليهـا واضطـرارها إلى مواقعتهم وإخماد ثورتهم وزاد هذا الاهمال بسبب نشـوب الحرب الروسية ١٢٩٤ هـ ، وانكســار جيــوش الـدولـة فيهـا وانصـرافهـا عقيبها إلى رتق فتوقها ، ودخل عهد السلطـان عبـد الحميـد الطـافـح بسوء السياسة والادارة والتجسس واليمن المنكـود الحـظ أكثر ما كان يجيئه من الولاة والموظفين الطالحون المأفونون وبـعـضـهـم من المـغضــوب عليهم والمطلوب إقصـائهم . فكـان هؤلاء يجعلون دأبهم الجور والعسف وابتـزاز الامـوال للرجـوع بأكـبر غنيمة إلــى بلدانهـم . وإذا جاء ولاة صالحـون فما يكادون يشرعون بالاصلاح وتبدأ أعمالهم بانبات الثمـرة حتى تستـدعيهم الـدولـة إلى أمـاكن ووظايف أخرى(١) فلا تتركهم ينهون ما شرعوا به من المنشآت والاجرآت النافعة . نعد من هؤلاء الـذين كانـواقليلين ويـا للاسف : المشـير أحمد أيـوب باشـا في ١٢٩٠ هـ هذا في صنعـاء عدة مبـاني أميرية أجلها المستشفى العسكري الكبير الـذي اتخـذه الامـام يحيى مسكنـاً وسماه دار السعـادة . « هذا المستشفى كان أهليـاً وجعله الامـام يحيى مقـامـاً وأدخله إلى دار السعادة وهو وزارة المـاليـة بعـد الثـورة وزاد فيـه الامـام يحيى الطـابـق الثـاني في ١٣٦٤ هـ أمـا المستشفى العسكـري فكـان محل المطبعة التركية الذي أصـابـه الحـريق بعـد الثورة وبجانبه أيضاً وزارة المواصلات التي صارت ادارة الجوازات والجنسية ويظهر أن الاول كان خاصاً بالضباط الأتراك كما كانت صيدلية أمام « دار الشكر » المتحف الوطني وكـان محل دار الشكر متخذات لقبة المتوكل احمد ونقلت هذه الى المحل الذي أمام البنك اليمني ملاصقـة بـبـاب خزيمـة وبـاب السبـح أي باب شرارة ميـدان التحرير وكان باباً جميلاً جداً أسف على إزالتـه وإزالـة أكثـر أبواب صنعاء العاصمة

(١) حيث يقدمون الرشوة ويعينون في مناصب اخرى مناسبة اكثر لهم .

الحميرية » . قال ونذكر الفريق اسماعيل حقي باشا ١٢٦٥ هـ فتح عدة مدارس وجند عدة افواج من متطوعة أهل اليمن على النحو الذي عمله الولاة العثمانيون في دورهم الاول وقد اتقن هؤلاء المتطوعة الخدمة وابلوا أحسن بلاء في إطفاء فتن القبائل من أبناء جلدتهم ، لكن الادارة الحميدية الهوجاء استوحشت من هذا الجند العربي على إثر تقارير بعض الجواسيس فأمرت بحله وبذلك قضت على هذا المشروع الذي كان نافعاً كل النفع لها ولأهل اليمن معاً ولم تعتبر وتتشبث بالدول الأوربية التي تجند من أبناء مستعمراتها وتقاتل بهم وتفتح مستعمرات أخرى بسواعدهم فتوفر من دماء أبنائها الاصليين ونفقاتهم الشيء الكثير . قال ونذكر الفريق عثمان نوري باشا المشهور بورعه وعدله ١٣٠٦ هـ ، والمشير احمد فيضي باشا الذي كان قائداً مغواراً أنقذ صنعاء من الحصار مرتين في ١٣٠٨ هـ . « الحوزة الثانية ١٣٢٢ هـ بعد موت الامام المنصور محمد بن يحيى حميد الدين الذي خرج من صنعاء في ١٣٠٧ الى حاشد وأعلن دعوته وكان يعمل في سوق الكوافي وما يزال حانوته موجوداً إلى قريب . كان يعمل فيها شخص من أسرة حميد الدين ولما مات في ١٣٢٢ بايع العلماء ابنه يحيى حميد الدين وتلقب المتوكل على الله رب العالمين وحاصر صنعاء في هذا التاريخ وتسمى حوزة النفر أي بلغ قيمة النفر الجد ريال « ماري تريزا » والنفر ربع صاع وقد أكل جند الاتراك في صنعاء الحيوانات مثل البغال والحمير والكلاب وقد أخبرني والدي رحمه الله أن امرأة أكلت ولدها ومات الجند وأكثر أهل صنعاء إلا من استطاع الذهاب إلى أحد القبائل حيث سعر الحب ثمانية انفار بريال وكان بعض أهل صنعاء يتركون أولادهم في الشوارع لعدم ما يجدون لهم من الطعام ودامت الحوزة ثلاثة أشهر » قال أحمد وصفي لقد أطعمهم الفأر والنار ولما دخل الامام يحيى تجمع من بقي في صنعاء وذهبوا إليه يشكون ما حل بهم فصاح بأعلى صوته وهو على جواده ماشياً بسرعة قائلا من مات شهيد ومن عاش سعيد وانطلق . وجاء أحمد فيضي باشا ودخل الجيش التركي صنعاء في أول جمعة من رجب ١٣٢٢ هـ وفر الامام يحيى من خربة المدافع عن طريق باب ستران الحالي في القصر وأمر فيضي بفتح باب القصر لأهل صنعاء وأخذوا حباً ورجيزاً يدفنون في الأرض وكان بعض أهل صنعاء يبيع بيته بملوجه أو قفوعه كما سمعت » .

قال وحسين حلمي باشا الصدر المحنك المشهور بعدله وحكمته ١٣١٥ هـ فتح المدارس الصناعية والاعدادية ودور المعلمين في صنعاء وتعز وقضى على الظلم والرشوة وشرح باصلاح أمور اليمن إصلاحاً حسناً لولا إعراض عاصمة السلطنة واهمال تلبية مطاليبه . « بنى المذكور وزارة الداخلية وتسمى الصنايع حيث كان فيها مدرسة مهنية خصوصاً عمل الاحذية ومدرسة اعدادية وبنى مدرسة للبنات هي الطابق الاسفل في وزارة التربية والتعليم ثم صارت مدرسة ثانوية في أيام الامام يحيى وعندما امر حسين حلمي المأمورين من الموظفين من أبناء اليمن وأبناء الترك بلبس العمايم والجبب وأداء الصلاة في أوقاتها أحبه الناس وسكنت الحروب وكان في أيامه قائد عسكري هو عبد الله باشا وكان منافساً لحسين حلمي وخلفه في ولاية صنعاء وبنى عبد الله باشا الثكنة العسكرية وتسمى العرضي كما بنى الجامع والحمام الموجودين الآن في العرضي وبنى باب اليمن

على شكله الحالي وحفر بئراً امام باب اليمن وقبة للشرب نقل الامام احجارها الجميلة إلى قبة الأبهر الموجودة الآن . ودخل الامام يحيى صنعاء في ١٣٣٧ هـ ( ١٩١٨ ) م بعد الحرب العالمية الاولى وسقوط تركيا وتسلم من الوالي محمود نديم باشا كل ما خلفه الاتراك من السلاح وغيره وقد جعل الامام يحيى الصنايع حبساً مدة كبيرة . وعندما فكر في دار ضيافة نقروا الاوساخ من الجدار والدعائم حول البرك بالوقيص حيث أن دخان المحابيس والاوساخ أثر في الاحجار وبقيت دار ضيافة إلى قيام الجمهورية وكانت وزارة للداخلية » قال ونذكر حسن تحسين باشا ١٣٢٦ هـ المشهور برزانته وحسن إدارته ] . ونعد من المشهورين بجورهم وعسفهم مصطفى عاصم باشا ١٢٩٣ هـ وعثمان باشا ١٣٠٥ هـ والمشير عبد الله باشا ١٣١٨ هـ اما الائمة بعدما ذهبت ريحهم عقيب دخول الدولة وسدت في وجوههم أسباب العيش والمقام في صنعاء انتقلوا منها إلى معاقلهم في شمال اليمن فقطن الامام المتوكل محسن بن احمد الشهاري المتوفى ١٢٩٥ هـ في حاشد ، والامام الهادي شرف الدين محمد المتوفى ١٣٠٧ في هجرة صعدة ، والامام المنصور في قفلة عذر ، ثم قال ولما قام الامام الحالي يحيى بعد وفاة والده . وكان حظه اكثر من أسلافه كلهم وقد أثار على العثمانيين حروباً شديدة وثورات عظيمة وحاصر صنعاء محاصرة هائلة في ١٣٢٢ هـ . أطعم أهلها والجنود الذين كانوا محصورين فيها النار والفأر وحدثت وقتئذٍ مجاعات فتاكة أودت بالالوف من اليمنيين فوق ما نالهم من الحروب والكوارث المختلفة . وقد ذكر الشيخ الواسعي اليماني في كتاب « تاريخ اليمن » / ص ( ١٩٧ - ٢٠٣ ) وصف هذه المحاصرات والمجاعات وما خلفته وقتئذٍ في صنعاء وغيرها من الآثار المحزنة والدمار والبوار ودام الحال تارة بالسكون وتارة بالثورات إلى أن دخل عهد السلطان محمد رشاد عقيب اعلان الدستور العثماني ١٣٢٦ هـ . وشرعت الدولة بلم شعثها واصلاح بلادها لكن اليمن لم يذق طعم هذا العهد كغيره بسبب استمرار الحروب . وحاصر الامام يحيى صنعاء مرة ثانية ١٣٢٨ . هذا ما جاء في سلسلة تاريخ اليمن للمهندس المذكور وقد أخذه من مصادر تركية وعربية ذات أهمية كما وجه اللوم للامام يحيى بعد أن نال استقلاله التام في اليمن في آخر هذه السلسلة من المقالات ولفت نظره إلى ما خلفه الاتراك من المباني والمدارس والمستشفيات التي كان يجب أن يضاعفها ويقدم اليمن في كل المجالات .

وانتهى المذكور إلى ١٣٢٨ هـ وفي هذا التاريخ كان الوالي محمد علي باشا وقد تحاصر صنعاء أو قل حاصر نفسه فقد كان يشرع المدافع في باب شعوب وفي الليل يدخلها صنعاء ويغلق الابواب كما سمعت ذلك من والدي رحمه الله وقد سمى أهل صنعاء هذه الحوزة لوزة لان الاشياء كانت متيسرة وما تزال بعض مناظر عالقة بذهني في هذه الحوزة . فسبحان الذي أودع في الانسان هذه الذاكرة . بعد حوزة محمد علي باشا الذي أمر بقطع جميع أشجار الاثل من شُعُوب حيث جعله كراحة اليد وذلك لان القبائل كانت تطلق الرصاص إلى صنعاء من بين الاثل . بعد محمد علي باشا أرسلت الدولة وال آخر خلفاً للمذكور اسمه عزت باشا والذي عقد مع الامام يحيى صلح دعان ١٣٢٩ هـ .

■ لماذا رأت الدولة عقد الصلح مع الامام يحيى ؟ لا شك أن أهم أسباب ذلك هو أن الدولة العثمانية كانت حليفاً لالمانيا وكانت تستعد للدخول في حرب الحلفاء إلى جانب المانيا

فأرادت ان تؤمن جانبها في اليمن الذي كبدها خسائر فادحة طيلة عشرات السنين . ومن مواد صلح دعان : وقف القتال . وان يتولى الامام يحيى إدارة المحاكم الشرعية ويعين حكام الشرع في المناطق الشمالية وان يتولى إدارة الاوقاف . وعين له مرتباً من الدولة وقد اشترط في هذا الصلح أن تعفى الواجبات عن قبيلة آنس وخولان . وأيضاً قبيلة أرحب كما أظن . مدة عشر سنين . ووافق الوالي عزت على ذلك . واستتب الأمن ووضعت الحرب أوزارها . ثم خلف عزت باشا الوالي محمود نديم . وكانت أول سيارة دخلت اليمن هي سيارة محمود نديم باشا وقد مرت من طريق الزمر وكانت ترتعش فرائصي من سماع الحنين قبل مشاهدتها . وقد كان وجودي صدفة في الزمر ولم أكن أنا الوحيد في الخوف . فقد هرب الناس إلى دكاكين الحناويت وهم يصيحون الشمندفار الاتمبيل . واليوم أصبحت صنعاء « قرش » للسيارات . وأصبح يسوقها الاطفال فسبحان محوّل الاحوال . كان لون هذه السيارة أسود وهي من ماركة فورد .

■ بعد ثلاث سنين من عقد « صلح دعان » بدأت الحرب العالمية الأولى ١٣٣٢ هـ . واستمرت إلى ١٣٣٧ هـ حيث سقطت تركيا واستلم الامام يحيى من الوالي محمود باشا جميع مخلفات الاتراك من سلاح وغيره . وبقي محمود نديم مدة في اليمن . وكان يقوم ببعض الاعمال للامام منها أنه أرسله إلى باجل عندما اعتقلوا الوفد الانكليزي برياسة جيكب في طريقه إلى صنعاء ولم يطلق سراح هذا الوفد إلا بعد أن حلقت طائرة انكليزية فوق باجل . وتم التفاهم مع القبائل أن يعود الوفد إلى الحديدة في طريقه إلى عدن وتم ذلك . وربما انها سرت ليلة القدر لمشايخ القبائل ومعظمهم من قبيلة الزرانيق . ولم يكن الامام يحيى قد استلم الحديدة لان الانكليز سلموها بعد أن احتلوها ودمروها سلموها للادريسي . كان المتصرف في الحديدة أثناء حرب الانكليز لها هو محمد راغب بك الذي شغل منصب وزير خارجية للامام يحيى حتى مات . وكان يساعده عبد الكريم مطهر وينظم لهما القاضي عبد الله العمري إذا كانت هناك أمور هامة مثل المعاهدات . وكان الهيكل التنظيمي لهذه الوزارة مؤلفاً من شخصين فقط هما القاضي محمد راغب والقاضي عبد الكريم مطهر . وكان السيد محمد بن محمد المنصور يكتب وقت الحاجة . ومن طريف ما أخبرنا القاضي محمد راغب عندما كان في الحديدة انه كان « يشرّع القواري التي تجرها الحمير » على طول الساحل يوهم الاسطول الانكليزي انها مدافع . بعد ان تسلم الامام مقاليد الحكم بقي في اليمن عدة أشخاص من الترك من ذوي الرتب العالية . نظموا له الجيش والمدرسة الحربية والمحاسبة وبيت السلك . منهم كنعان بك ونجيب بك وغيرهم . كما بقي من الجيش التركي سريتان كانتا تشترك في العرضي مع الجيش النظامي بالملابس العسكرية التركية . وقد طالب الانكليز بتسليمهم حسب شروط الصلح مع الترك وهو ان تسلم جميع الجيوش الموجودة في البلاد العربية إلى الانكليز وهو بدوره يسلمهم إلى تركيا بعد تجريدهم من السلاح . وكان سعيد باشا في لحج . وسمعنا أنه طلب من الامام أن يستلم منه لحج والجنود بدل تسليمها للانكليز في عدن . وقد بقي المذكور يكافح الانكليز في لحج ويشن غارات على الشيخ عثمان ويهدد عدن حتى سقطت تركيا وأمروه بالتسليم إلى الانكليز . هذه نبذة من وقائع التاريخ فيها العبر لمن يستفيد منها من الاخرين . فسبحان

وارث الارض ومن عليهـا . والحمـد لله رب العـالمين والصـلاة والسـلام على من أرسله الله رحمة للعالمين بشيراً ونذيراً وسراجاً منيراً وعلى آله وصحبه والتابعين وعلى جميع الملائكة وعباد الله الصالحين .

★ ملاحظة ضرورية :

نشـر الاستـاذ سيد مصطفى سالم في كتابه « تكوين اليمن الحديث » نقلاً عن « هدية الزمن في أخبـار ملوك لحج وعـدن » لأحمـد فضـل العبدلي ، الخطابين المهمين التاليين :

١ ـ خطاب سعيد باشا في لحج إلى القائد العثماني أحمد توفيق باشا في صنعاء بتاريخ ٢ نوفمـبر / تشرين الثاني ١٩١٨ م . والذي يلقي فيـه اللوم الصريـح على « حضـرة الامام ووالي الولاية » وجناب أحمد توفيق لتخليهم عن معونته مادياً ومعنوياً ضد الانجليز .

٢ ـ خطاب موجه من « اللواء سعيد باشا إلى اللواء حسين باشا بصنعاء » بتـاريـخ ١٢ نوفمـبر / تشـرين الثـاني ١٩١٨ م . وفي هذا الخطـاب عبارات واضحة « تحمل اليمنين عامة والامـام خاصـة مسؤولية المحافظة على بلادهم وحـدودهم » كما يقـول د . سالم . ولانقطـاع المعـونـات على جنـده من قبل الامام اضطر إلى التسليم للانجليز قبل رحيله ورحيل جنده !!